كلام عراقي مهين للعراق...

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

على الرغم من كل الكلام المنمّق الذي حاول فالح الفيّاض قائد "الحشد الشعبي" في العراق استخدامه، مشيرا إلى "القوانين والخصائص العراقية"، يبقى أنّ الطريقة التي تناول بها تجربة "الحرس الثوري" الإيراني لم تكن موفقة. لم تكن موفقة بالنسبة إلى العراق نفسه ومستقبله أولا. كانت إشادة الفيّاض بتجربة "الحرس الثوري" في إيران بمثابة إهانة للعراق وللعراقيين الذين بات عليهم القبول بمصير، أقلّ ما يمكن أن يوصف به أنّه قاتم. أي مستقبل لبلد فيه جيش رديف للجيش القائم. أليست تجربة لبنان سببا كافيا للاقتناع بأنّ "الحشد الشعبي" كارثة على العراق، مثلما أن "حزب الله" أخذ لبنان إلى "جهنّم"، أي الجحيم الذي وعد به رئيس الجمهورية ميشال عون اللبنانيين؟

استقبل حسين سلامي قائد "الحرس الثوري" الإيراني قبل أيّام في طهران فالح الفيّاض الذي قال مخاطبا قائد الحرس الثوري "يعتزّ الشعب العراقي والحشد الشعبي بالحرس الثوري بسبب دماء قاسم سليماني ومساعداته (...) نحن فخورون بنموذج الحرس الثوري الحامل لخصائص الثورة الإسلامية، واليوم نرى أنّ من واجبنا استخدام تجربة الحرس الثوري الإيراني وفقا للقوانين والخصائص العراقية".

أسوأ ما في الأمر أن ليس في العراق من يعترض على كلام الفيّاض الذي يقول أيضا "نريد تكرار تجربة 'الحرس الثوري' في العراق".

من جهته، قال سلامي "نحن نقول كلامنا الأساسي في ساحة المعارك. والقوى السياسية الحقيقية هي القوى الميدانية"، مضيفا أن "الحشد الشعبي كان على هذا الصعيد مميزا... وقوته كقوة جهادية دفاعية تزداد وفقا للطموحات الكبرى والإيمان الراسخ والانسجام الداخلي والنظم والانضباط".

الرسالة الإيرانية تبدو واضحة، ولا يمكن لـ«الجمهورية الإسلامية» قبول أن العراق هو العراق وإيران هي إيران وأن لا حاجة إلى نقل تجربة فاشلة اسمها «الحرس الثوري» إلى العراق

لم يعد سرّا أن إيران تريد الاستمرار في السيطرة على العراق عبر "الحشد الشعبي". تريد نقل تجربتها الفاشلة إلى كلّ بلد يمكن أن تصل إليه. هناك قسم أساسي من الميليشيات التي تعمل تحت راية "الحشد" ولاؤه المكشوف لإيران ولـ"الوليّ الفقيه". أسوأ ما في الأمر أنّ "الحشد الشعبي" تحوّل جزءا من المؤسسات الرسمية العراقية وذلك بحجة أنه قاتل "داعش". نظريا، إنّه بإمرة القائد الأعلى للقوات المسلحة، أي رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي. عمليا، إنّه تابع لـ"الحرس الثوري" ولقائد "فيلق القدس" إسماعيل قاآني تحديدا. تختزل هذه المعادلة التي لا يمكن فيها التوفيق بين ما هو نظري وما هو عملي المأزق العراقي. ذهب فالح الفيّاض إلى طهران ليردّ على مصطفى الكاظمي الذي استطاع في واشنطن التوصل إلى تفاهمات منطقية في شأن مستقبل الوجود العسكري الأميركي. التقى الكاظمي الرئيس جو بايدن وكبار المسؤولين الأميركيين. عاد بصيغة معقولة تضمن الخروج العسكري الأميركي وتبقي مستشارين أميركيين يحتاج إليهم العراق وجيشه.

تبدو الرسالة الإيرانية واضحة. لا يمكن لـ"الجمهورية الإسلامية" قبول أنّ العراق هو العراق وإيران هي إيران وأنّ لا حاجة إلى نقل تجربة فاشلة اسمها "الحرس الثوري" إلى العراق. ليس في طهران من يريد أن يفهم أن الشعب العراقي يرفض، بأكثريته الساحقة، النموذج الإيراني.

منذ تشكيل حكومته قبل ما يزيد على سنة وأربعة أشهر، سعى مصطفى الكاظمي في ظل تفاهم مع رئيس الجمهورية برهم صالح، إلى إيجاد توازن داخل العراق وفي ما يخصّ العلاقات بجواره. اصطدم دائما، وسيظلّ يصطدم، برغبة إيران في رفض مثل هذا التوازن وذلك على الرغم من أن الثنائي برهم صالح – مصطفى الكاظمي ليس معاديا لها. على العكس من ذلك، لديه ميل إلى مساعدتها وأخذ مصالحها في الاعتبار... ولكن ما العمل مع نظام يعتقد أنّ في استطاعته لعب دور القوّة المهيمنة على العراق وغير العراق، بما في ذلك سوريا ولبنان واليمن!

ليس موقف فالح الفيّاض، خصوصا إشادته بقاسم سليماني قائد "فيلق القدس" الذي اغتاله الأميركيون في الثالث من كانون الثاني – يناير 2020 بعيد مغادرته مطار بغداد مع أبومهدي المهندس نائب قائد "الحشد الشعبي" والرجل القويّ فيه، سوى تعبير عن عقدة إيرانية. تتمثل هذه العقدة في أن العراق لا يمكن سوى أن يكون تابعا لإيران. أكثر من ذلك، إنه ورقة من أوراقها في المنطقة. إنه ورقة أساسية من الأوراق التي تستخدمها "الجمهورية الإسلامية" في مفاوضاتها مع الإدارة الأميركية.

لا يمكن لإيران التخلي عن العراق بصفقة كونه الورقة الأقوى في ترسانتها. ليس معروفا هل حساباتها في مكانها أم لا. لكن الأكيد أن بين توقيع الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني صيف العام 2015 وبين صيف العام 2021، تغيّرت المنطقة وتغيّر العالم. أكثر ما تغير أن الإدارة الأميركية ستجد صعوبة في العودة إلى الاتفاق بالشروط الإيرانية. لا عودة إلى الاتفاق من دون الربط بينه من جهة وبين الصواريخ الإيرانية والطائرات المسيرة والسلوك الإيراني في المنطقة من جهة أخرى.

يفسّر مثل هذا الموقف الأميركي الإصرار الإيراني على استقبال قائد "الحشد الشعبي" العراقي في طهران والتركيز على كلامه عن مدى إعجابه بتجربة "الحرس الثوري". تريد إيران القول إن "الحرس الثوري" في كل مكان وإنه من يتحكم بالعراق وإنه لا رجعة إلى خلف. بالنسبة إلى إيران، لا وجود سوى لمنتصر وحيد في الحرب التي شنّتها أميركا في العام 2003. هذا المنتصر هو "الجمهورية الإسلامية" التي كانت شريكا في هذه الحرب. هذا يعني، بكل بساطة، أن لا مكان لعراق جديد يقيم علاقات متوازنة مع دول المنطقة. هذا هو التفسير الوحيد لكلام فالح الفيّاض في طهران الذي يريد نقل ثقافة الموت والبؤس التي تنشرها إيران في المنطقة إلى العراق لا أكثر ولا أقل. هناك عراقي يريد من العراقيين أن يموتوا من أجل "الجمهورية الإسلامية". يريد منهم الموت من أجل مشروع توسّعي إيراني غير قابل للتصدير، مشروع لا أفق من أيّ نوع له، لا سياسيا ولا اقتصاديا ولا حضاريا...

السياسيون العراقيون وكتابة المذكرات

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

مقبول وممتع ونافع جدا أن يكتب مذكراته واحدٌ غير عادي، زعيم سياسي، مفكر، فيلسوف، مخترع، قائد عسكري، رجل دين، زعيم شعبي أو صاحب أي صفة أخرى، شرط أن يكون قد أظهر إنجازا غير مألوف وغير اعتيادي في عصره أو في العصور التي جاءت بعده، سواء كان من الخيّرين المحترمين أو من الشرّيرين المبغوضين والملعونين.

والمذكرات المهمّة التي تستحق القراءة هي مذكرات شخصيات نادرة بأهمية مثلا، غاندي وكارل ماركس ولينين وماو تسي تونغ وغيفارا وغاندي وهتلر وموسوليني وحافظ الأسد وفيدل كاسترو وأبوبكر البغدادي ومعمر القذافي وقاسم سليماني، وحتى أوباما وترامب ممن حفظت البشرية أخبارهم إما للعبرة والموعظة وإما للتندّر والتسلية وحب الاستطلاع.

فمن حق الجنرال ديغول، مثلا، أن يحدّثنا عن دوره في تحرير فرنسا بعد أن احتل الجيش النازي الألماني بلاده فرنسا بالكامل عام 1940، وعن هربه إلى بريطانيا وإعلانه من هناك نداءه الشهير "فرنسا حرّة ومستقلة بكرامة" لمقاومة الاحتلال، داعيا الجيش الفرنسي إلى الالتحاق به في لندن، وعن انتصاره وعودته مظفرا إلى بلاده المحررة، وتسلمه منصب رئيس الجمهورية عام 1959، ثم طلبه إجراء استفتاء شعبي عام 1969 لتكريس اللامركزية وإدخال إصلاحات تجديدية على مجلس الشيوخ مهددا بالاستقالة إذا فشل في تمرير مشروع هذا القانون. فجاءت النتائج مخيّبة لآماله، حيث صوّت 52 في المئة من الفرنسيين ضد قانونه، وهو الأمر الذي جعله يفهم أنه لم يعد حبيب الغالبية العظمى من الفرنسيين، فتقبّل الواقع بأريحية، ولم يُعيّر الفرنسيين بجهاده القديم، فاستقال وهو غير نادم، ليمنح مواطنيه فرصة اختيار من يثقون به أكثر منه واختار العزلة، وهو سعيد.

وممتع ونافع أيضا أن نقرأ مذكرات نيلسون مانديلا مثلا، صاحب القول المأثور "إذا قبضت المال ثمنا لنضالي فسوف أتحول من مناضل إلى مرتزق"، ليشرح لنا كيف بدأ جهاده المضني المميت ضد العنصرية المتطرفة التي مارسها البيض في جنوب أفريقيا ضد مواطنيه السود، وعن قضائه ثلاثة أرباع عمره سجينا أو مطاردا مطلوبا حيّا أو ميّتا، ثم عن انتصاره أخيرا، ثم عن الثقة بالإجماع التي منحها له مواطنوه السود والبيض معا، فجعلوه رئيس جمهوريتهم. وبعد أن أتمّ بناء الدولة الجديدة العادلة العاقلة وأرسى في المجتمع الجديد روح التسامح والوسطية والمسالمة تقدم باستقالته وغادر قصر الرئاسة ليعيش باقي عمره مواطنا عاديا بلا حراسة ولا راتب تقاعدي ولا امتيازات.

ومهمّ أيضا لو كتب صدام حسين مذكراته، خصوصا إذا بدأها بولادته، ثم طفولته البائسة ويُتمه وفقره، ثم دخوله المدرسة متأخرا أربع سنوات عن زملائه فإقدامه على اغتيال ابن عمومته الحاج سعدون الناصري في تكريت عام 1958 وهو ابن العشرين، ليبدأ اسمه بالظهور ثم مشاركته في عملية اغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم من قبل البعثيين عام 1959، وهو لم يصبح بعثيا بعد، ثم هربه إلى سوريا ومنها إلى مصر، ثم عودته إلى العراق ليرافق ابن عمومته الأمين العام للقيادة القطرية لحزب البعث أحمد حسن البكر، ثم لينجح الحزب في انقلاب عام 1968 ليصبح هو مساعدا، فنائبا للرئيس وليمسك بأجهزة الأمن والمخابرات ويستخدم المسدس لإسقاط خصوم الحزب ثم خصوم الرئيس، ثم خصوم العائلة، ثم خصومه هو شخصيا، وليتولى الرئاسة بعد ذلك وحيدا وبكل ما عرف عنه من عناد وقسوة وعنف ثم دخوله الحرب ضد غريمه الخميني ثماني سنوات، ثم غزوه الكويت، ثم محاكمته التلفزيونية، فصعوده خشبةَ الإعدام ومن حوله أعداؤه الإيرانيون ووكلاؤهم يهللون ويرقصون، وهو ينظر إليهم ساخرا سائلا "هل هذه هي الرجولة"؟

مضحك ومبكٍ معا أن يكتب مذكراتهم أشخاص لم يكونوا وهم في الحكم ولم يصبحوا وهم خارجه سوى نباتات طفيلية نبتت في غفلة وبفعل فاعل سرعان ما تختفي ويلفها النسيان

ولكنْ مضحك ومبكٍ معا أن يكتب مذكراتهم أشخاصٌ لم يكونوا، وهم في الحكم، ولم يصبحوا وهم خارجه، سوى نباتات طفيلية نبتت في غفلة، وبفعل فاعل، سرعان ما تختفي ويلفّها النسيان فور أن ينتهي الزمن الرديء الذي منحهم القدرة على الكلام.

فلو لم تلتقطهم دبابات الغزو الأميركي من مقاهي دمشق وطهران وعمان وبيروت ولندن وواشنطن، ولو لم يلفّهم الاحتلال الإيراني بعباءته السوداء ويجعلْ منهم وزراء ونوابا وسفراء ومدراء وقادة ميليشيات وأصحاب بنوك وشركات وقصور وعمارات لظلوا إلى هذه الساعة، يتسكعون على أعتاب مؤسسات المعونة الإنسانية في دول الاغتراب، ليتسلموا صدقاتها وهم صاغرون.

خذوا مثلا. كتاب "تجربتي" لباقر صولاغ، "بين النيران" لإياد علاوي، "حكايتي والمسيرة" لسليم الجبوري، "تجربة حكم" لإبراهيم الجعفري، "تجربة حياة" لحسين الشهرستاني، "رحلة وطن" لعمار الحكيم، وأمثالها من كتب مذكرات لا تساوي ثمن الورق الذي كتبت عليه.

واحدٌ من هؤلاء هو مدير مكتب حزب الدعوة في سوريا عام 1990. فقد تعرّفت عليه خلال زيارتي إلى دمشق في أكتوبر عام 1990 لأسجل معه لقاء باعتباره معارضا لوطنه العراق وليس لنظام الحكم فيه. ولم أعرف أن اسمه "جواد المالكي" إلا بعد انتهاء اللقاء، وبعد أن اطمأن إليّ، وزالت مخاوفه من أنني لست مدسوسا عليه من مخابرات صدام حسين.

وطبعا، لم يعلن هذا المجاهد الصنديد عن اسمه الحقيقي "نوري كامل المالكي" إلا بعد الغزو الأميركي عام 2003، ولأعرف أن "جواد المالكي" كان هو اسمه المستعار.

أجريتُ اللقاء معه. وقد اشترط قبل بداية التسجيل أن أكتفي بمناداته باسم "أبوإسراء". لم أحرجه بسؤالي عن سبب خوفه وهو في دمشق وبحماية مخابرات النظام السوري وعدد من أعضاء حزب الدعوة الذين كانوا يعملون معه كحماية ذاتية إضافية، لكنني، مع نفسي، استغبيتُه واحتقرته كثيرا، وذلك لسببين، الأول لاعتقاده بأن مخابرات صدام غافلة عن معرفة اسمه الحقيقي وأصله وفصله، والثاني لجبنه.

وسألت نفسي، كيف يريد هذا المعارض أن يبشّر بفكر حزبه ويكتسب المؤيدين والمناصرين ثم يُسقط نظام صدام حسين وهو يخاف من خياله إلى هذا الحد؟

أما الشخص الثاني الذي عرفته في تلك الزيارة فهو بيان جبر، ممثل المجلس الأعلى في دمشق. وكما فعلت مع "أبوإسراء"، أجريت معه اللقاء باسمه المتداول آنذاك بيان جبر، لأكتشف، بعد زمن، أنه "باقر صولاغ".

أما الثالث الذي كان الأكثر خوفا ورعبا من صدام ومخابراته فهو إياد علاوي. فقد رفض إجراء أي حديث مسجل للإذاعة، وكان عذره يومها، أن صوته معروف لدى مخابرات صدام.

والآن دعوني أتساءل، ماذا يمكن أن يقوله في مذكراتهم هؤلاء الذين كانوا وما زالوا، مسوقين بأوامر المرجعية، وبعصا الحرس الثوري وتوجيهات سفارة الولي الفقيه؟

وهل يملك، أيُّ واحدٍ منهم بعضا من الجرأة والصدق والأمانة ليحدثنا عن جرائم الخطف والاغتيال والخيانة التي ارتكبها وهو في الحكومة، وعن سرقاته التي تتحدث بها الركبان؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk